

نسخة المأخوذ

مكتبة

الاتحاد الثقافي الاسلامي

أسبوع الحاج عبدالله انياس الثقافى

ابتداءً من ٢٢ - مارس الى ٣٠ منه سنة ١٩٨٦ م

الموافق ١ - رجب مارس الى منه سنة ١٩٨٦ م

آثار التصوف في حياة الحاج عبد الله

انليستاس ، رضي الله عنه

بقلم لأستاذ ابراهيم أحمد انياغ

خريج كلية الحقوق ~~بالتفصيل~~ (العلوم القانونية)

جامعة محمد الخامس ، مفرج .

أستاذ اللغة العربية - كوليج

السنة إل

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَیِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ يَوْمَ الدِّينِ .

— مآلى الوزراء .

— سادة السراء .

— سادة العلماء الشيوخ والأساتذة .

— حضرات السادة والسيدات .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبسم الله :

فمن أراد أن يضع شيئاً ما ، فى قالب ما ، لتعين حجمه • وتقييم وزنه
 يجب عليه أن يعرف قبل كل شئ الخصائص الطبيعية • والعناصر المكونة
 للوجود الذاتى لذلك الشئ ثم يصنّره ويحلله ويضه بمد ذلك على
 ميزان وبمقياس يمكن به تقييم وزنه • أو فى قالب يمكن به تعيين حجمه
 طولاً وعرضاً وكثافة •

وعلى هذا ، فالحكم على قيمة الفرد • ووزنه يعتمد بداية
 ونهاية على معرفة البيئته ، والوسط الذى كان يعيش فيه ذلك الفرد ،
 بالإضافة الى الظروف المادية والنفسية التى كانت تحيط به ، أثناء
 مسأولة نشاطه الذى تنعكس عليه مقوماته الشخصية •

ولهذا ، اذا أردنا معرفة مدى آثار التصوف فى حياة جدنا
 وشيخنا الحاخ عبد الله انياس ، رضى الله عنه ، ورضه فى قالب
 الصوفية - يجب أن نعرف خصائصه النفسية ، ومقوماته الشخصية ، وبتنا
 لى مدى تأثيره وتأثيره من بيئته ووسطه والظروف التى كانت تحيط به
 ولعل ابرز الخصائص النفسية التى كانت شعاراً وطابعاً خاصاً فى
 حياته • هى العزيمة والوقار • مع التواضع والموضوعية فى

التصرفات ، والتجرد فى القبول

بأن رضى الله عنه اذا عمّد عزمه على فعل شئ يدرسه دراسة
 حافية على ضوء موضوعيته وتجرده العلمى والنفسى ، ثم يتقدم بعد ذلك الى
 التنفيذ ، فلا يتزحزن عن قراره وخطته قيد أنملة • والى جانب ذلك يجيد
 من وقاره وبهيئته حضانة تقيه من شر الوسواس الخناس ومن فضوليت
 الوسط والبيئته ، ومن تدخلات الشياطين والأجانب فى أموره • ثم

يتحرك الى هدفه بجد وإيمان مع القناعة والاعتماد على النفس
وبرصيده وعملته التي لا تنزع منها مستودعات شخصيته - إذ أسفرت
يداه المبولتان ، وتدهورت الأحوال الاقتصادية ، بقساوة الطبيعة في
القط والجفاف .

وهذا الذي ذكرناه من الضائص والمقومات الشخصية إذ اجتمعت
في شخص يوصف حتما بالإيمان والعلم مع الزهد والتقوى ، وبالتالي
بالصوفي .

وبناءً على ذلك ، في بيان صحة نسبة الحاج عبد الله انياس الى
الصوفية والوقوف على آثار التصوف في حياته - يعتبر أمراً سهلاً ،
وقضية مسلمة بها ، وخاصة إذا علمنا حقيقة التصوف ، والمراحل التاريخية
التي مرت عليهما الطرق الصوفية عبر التاريخ الإسلامي ، والدور الذي
لعبته هذه الطرق في الفتوحات ، والدعوة الى الإسلام بالحكمة
والموعظة الحسنة .

ولكن مع أهمية هذا الموضوع ، التصوف الإسلامي وأثاره في
حياة الحاج عبد الله انياس ، نعترف بأنه من بين الموضوعات التي
يمكن وصفها بالعمق والتجرب ، وما ذلك إلا لعدم قابليته التمدد
والتفاعل مع أفكار و آراء غريبة عنه تضاف الى مادته لتكييفه
بالمكثفات العامة للثقافة . الشيء الذي يجعل التحدث فيه يتسنى و
يضيق حسب الكفاءة والمثيرة ، والألمام بحوانيه وأفاقه المرضية
الواسمة ، والمحيلة بالعلوم والأسرار .

وكذلك السماع الى المتحدث عن التصوف ، ثقيل وممل إذا كان
المستمع لا يستسيغ ولا يهضم بسهولة التعبيرات والمطلحات المحكمة التي
توضع لثبوت المبادئ المطلقة المشرقة في فلاة المفارح والعلوم ، أمام
مركز الحقائق والفهوم .

وقد ينتج من عدم إدراك حقائق التصوف ، التقليل من أهميته في
بناء مجتمع إسلامي سليم ، يعيش فيه الفرد والجماعة في توازن
وثبات ، وفي تقدم وازدهار ، بحيث تتبادل القوى الفيزيولوجية مع
القوى السيكولوجية ، في معادلة لا تختل بالموثرات الطبيعية ، من
والتكنولوجيا . والتي يوجد الإنسان تحت سيطرتها ونير قوانينها الما

هذا بالإضافة إلى أن المحتويات الثقافية في شخصية الحان عبد الله انبساط كثيرة ، لا تعد ولا تحصى . ولكن إذا كان جانب التصوف في حياته واضح المعالم . وبين الآثار امام كل باحث ، فليس الأمر كذلك في بنية جوانب حياته رضي الله عنه ، وما ذلك إلا لأن التصوف خالط دمه وروحه ، ولفى على جميع تصرفاته ، ومتسباته الدينية والفكرية ، وصنع حياته كلها بالصبغة الصوفية . التي لا تأثر لالوان غيرها .

فهو رضي الله عنه صوفي على كرسى التعليم ، وصوفي في بستانه ومزرعته ، صوفي في مسجده ، وصوفي بين أهله في لباسه وأكله وشربه لأنه أدرك حقيقة التصوف ، واقتنع بدوره وأهميته ، في الدعوة ونشر الاسلام .

ولمذا سنراه في أليمة الصوفيين بين القديم والحديث يحتل مكانا عاليا مرموقا . يمثل في عصر الصحابة رضوان الله عليهم في التقوى والورع وتطبيق الشريعة الإسلامية ، الصحابي الكبير ثانی الخلفاء الراشدين سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، ومن التابعين رضوان الله عليهم ، الحسن البصري ، والسفيان الثوري و ابراهيم بن الهميم أو الطائي - في الزهد والعبادة .

وسنحاول خلال هذا البحث إبراز وبيان الخطوط العريضة في مراحل حياة الحان عبد الله انبساط واثاره في التصوف الاسلامي . مع الاعتراء - مسبقا - بجزنا وقصور باعنا في اعطاء هذا الموضوع العزير العميق حقه ، لأن احاطة جوانبه ودراسته دراسة وافية يكفي وحده لو استطلنا أسبوعا ثقافيا . والوقوف على آثار التصوف في حياة الحان عبد الله انبساط رضي الله عنه يوم دى الى معرفة سر نجاحه وتفوقه في تدليق الدعوة والتربية ، ثمرة حياته . ولهذا سنركز حديثنا عن آثار التصوف في حياة الحان عبد الله انبساط على النقاط الرئيسية التالية وبذلك بايجاز واختصار قدر الامكان :

- (١) ماضو التصوف ومن هم الصوفيون ؛
- (٢) دور الطرق الصوفية في نشر الدعوة الإسلامية
- (٣) الحان عبد الله انبساط والطريقة التجانية .
- (٤) غاتمة فذكر تيمنا بعض تطبيقات الحاج عبد الله من مناهم التصوف الاسلامي .

أولاً : ماسو التصوف % ومن هم الصوفيون !

وقد وردت على التصوف تعريفات كثيرة ومختلفة في الصبغ والالفاظ من العلم أن لاختلاف الالفاظ والتباير لا يؤدى حتما الى اختلاف المعنى والجوهر .

وقد عرف بعض الكتاب التصوف بالصوفى ، والبعض منهم بالعكس ولكن لا يعمنا ذلك ، لأن تأخير الصفة عن الذات في الترتيب والذكر أو تعريف هذه بذاك . لا تأثير له في الحقائق والمحتويات الكامنة وراء الإسم والمسمى ، ولا تتغلك به عروة الصلات الوثيقة بين الأسماء والمسميات .

فوجود التصوف كعلم وأسلوب من أساليب التبيد والتقرب الى الله متلازم بالصايد المتبطل الساكن في باب الله ، كما زعم العالم بصفة العلم . ومعلم براه .

ونذكر هنا بعض تعريفات العلماء والصوفية لهذا الفن استئناسا بهم وتبركنا بالالفاظ التي جرت على السنتهم المباركة . ولعل وعسى أن يفردنا ذلك الى الوقوف على حقيقة التصوف ، ومعرفة الصوفيين وميولهم ، ثم ترى بالتأكيد الشيخ الحان عبد الله انيسا رضى الله عنه بزيه وانظيره ، وذوقه ودرايته بين الفئة الصوفية ، هذه الفئة التي تتكون من رجال (لانهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقسام الصلاة وايتاء الزكاة ، يغافون يوما تتقلب فيه بالابصار والابصار ، ليحجزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب) صدق الله العظيم (١) الإمام ابو بكر محمد الهنوي (380) هـ .

هذا ، وقد عرف الكلا با ذى الصوفية نقرا الى احوالهم ، واعتبارا لهميئنا بهم وقال : (تلخرو بهم عن الأوان سموا غرباء ، ولكثره لاسمائهم سموا سيبا حين ، وأهل الشام سموهم جو عينق لانهم يتأون عن الطعام الا قدر ما يقيم الطلب للضرورة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " بحسب بن آدم اكلات يقمن طيبه " وسموا فقراء لتخليهم

عن الأملاك (٢)

(١) سورة النور ، آية (٣٦ - ٣٧) . (٢) كتاب التعرف المكلا باذى

وقد سئل سهل بن عبد الله التستري، من هو الصوفي؟ فأجاب بقوله
 (من صفا من الذكر، وامتلأ من الذكر، وانقطع الى الله من البصر، واستوى
 عنده الذهب والمدبر ٠٠٠)

وقان الحسن البصري في تعريف التصوف (التصوف هو ترك كل حظ للنفس ٠٠٠)
 وتسان الامام البنيدي: (هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة
 الأخلاق الطبيعية، واخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية
 ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بالسلم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى
 على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة، وزاد قائله بالاختصار هو ان تكو
 ان تكون مع الله بلا علة ٠٠٠)

وهي هذا وفق الامام البنيدي بن نصر السراج الطوسي، حيث أن الطوسي
 يقول: (هو قطع كل علة عن الله ٠٠٠)

وأما ابن خلدون فقد عرف التصوف في كتابه المتقدم وقال: (هذا العلم فرع
 من علوم الشريعة الحاثة في الملة، وأصله أن يرى في القوم لم
 تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة
 الحق والهداية، وأصلها التصوف على العبادة، والانتطاع الى الله تعالى والا
 سراس عن زخرفة الدنيا وزينتها، والزمه يقبل عليه البهيمر من لذة، ومال
 وجاه، والانسراد عن الخلق في الضورة للعبادة وكان ذلك ما في الصحابة
 والسلف، لما قضا الأقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده
 وفتح الناس الى مخالفة الدنيا، اهتموا المتقبلون على العبادة باسم الصوفية
 هذا، ومن وقف على تصرف ابن خلدون، وأمعن النظر في التأمله وما نيه يري
 في مخالفة هذا الفن وأصعبته في بناء المجتمع الإسلامي، لأنه وان كان وصف
 علم التصوف بالحدثة في القصة، فلم تقتضه أهمية هذا الفن وأصالته في
 الفن الإسلامي، ولهذا يرجح ليقتصر فاضحة بأن ظهور هذا النمط من
 العبادة والانتطاع الى الله بدأ في عصر الصحابة والتابعين، وكان الدا
 فع كبح جماح جمهور الناس في اللذة والجاه، ولهذا فجميع العلماء الذين
 يبن لاحقوا بالقرن الثاني الهجري اهتموا باسم الصوفية والتصوفية،
 فلو أنفت هذا الى دحور حجة منكسرى الشرق الصوفية، ونسبوا رأياً بهم

با د عاء بد عية الطرق الصوفية ه ترى ان جميع الكتّاب والبا حثين المنص
(٦)
المصنفين في القديم والحديث ، والذين كتبوا في هذا الموضوع قرروا جم
جميعا صحة مصادر هذه الطرق ، وهذا العلم من الكتاب والسنة ه اتوا بحج
علمية دامنة لا تبقى هنا ه ولا تذر ريبا ه لو احة لوجوه الانوار لتثبت
سنية التصوف ه وشرعية الطرق الصوفية ه (١)

ومذا هو ما كتبه القدماء في التصوف والصوفيين ه واما الماصرون ال
الذين كتبوا في هذا الموضوع فكثيرون ومعمرون فلا ايل الكلام في نقل
آرائهم وانكارهم حول التصوف ه وسأكتفي فقط بما كتبه الاستاذ / حنين
محمد مظلوف في بحثه نشرته مجلة الأزهر الشريف ه في عددها الصادر -
جمادى الأولى سنة (١٤٠٥) هجرية ه كتب يقول : (التصوف هو التوجه الى الله
الله ه واقبال عليه ه وعكوف على عباده ه وتسربس لنفحاه ه وهما ته ه التي
يختص بها اوليائه ه واحباؤه ه . كل ذلك مع السعي ه والتمسك الصالح في الد
نيا بما يتزودون لآخرة ه وبما به قوام الحياة والعمارة في الحلال الطيب
وهو مطلوب شرعا وحسن ممدوح في دين الله ه (٢)

وبرجوع الى كتب الشيخ عبد الله انيس المليئة بنوادير التصوف ه وانكار
الشرعية الاسلامية (كالترتيب والتخفيف على الطريقة التباينة ه ومفتاح
الانوار ه ومنيل الاسرار ه وغيرهما من تالته في هذا الفن) يأتد للباحث
ويثبت عنده رسوخ تقديم الشيخ عبد الله ه ولول باعه ه مع بعد الادراك
بحقيقة التصوف ه ومرايمه البعيدة في اصلاح النفوس وتمزكيتها ه بحيث نراه
يتمثل التصوف مبداء عا مًا ه ومسر طًا ا سًا لاصحة الدعوة الى الله تعالى
ويتول في ذلك ان تزكية النفس ه وتزويغ الرواسب الدنيوية ه اوساخها
عندما لاتتم الابوا سلة المحبة والاتباع ه محبة الله ه واتباع الرسول صلى
الله عليه وسلم ه .

وانما الاتباع - بدوره كوسيلة الى المحبة - فهو الإقتداء بالرسول صلى
الله عليه وسلم ه ولهذا يرى الشيخ عبد الله انيس رضي الله عنه ان المهم
المهمة الاساسية للدعاة ه هي التحبيب الى الله ه وغرس المحبة في قلوب
العباد ه ثم استبدال بالحديث الشريف (والذي نفس محمد بيده لمن شئت
لا أقسمن لنم ان احب عباد الله الى الله تعالى الذين يحبون الله الى عبا
ده ه ويحبون عباد الله الى الله يمشون في الارض بالنصيحة ه (٣)

(١) مصابة الصدق ه (كتا بنا - مظلوف) ه (٢) مجلة الأزهر الشريف

(٧)
 وزاد الشيخ عبد الله قائلًا: (الدعوة إلى الله من أعلى المراتب في
 الطرق الصوفية لما يظهر فيها من نياحة النبوة في الدعوة إلى الله)^(١)
 ولهذا كانت الدعوة المممة الأولى، والمظهر الحقيقي، في حياة الحاج عبد
 الله انياح، وتصوته لأنها (الدعوة) أقرب الطرق وأصحها إلى الله عند
 جميع الصوفيين، ولذلك تجد قائلًا عادة - عبر التاريخ - طويلاً وعمر
 يضت، تضم نخبة فاضلة من طبقة العلماء الصوفية في القديس والحديث، كما
 الإمام الحسن البصري، والإمام الجنيد، والجيلاني، وأبو حامد الغزالي
 والشيخ أحمد التجاني، والشيخ عمير الفوتي، والشيخ الحاج عبد الله غزالي
 انياح، والشيخ الحاج مالك، والشيخ أحمد بمبالبكي، وغيرهم من رجال
 الدين والتصوف - رضوان الله عليهم - في الماضي القريب والبعيد .
 هذه قائمة تضم الفخر والزهة في الله، فكل من لم ير فيه الانتساب
 إليها، ولا تعجبه آثاره، فلن يجد بعد ذلك مكاناً في قائمة الأبرار وال
 خيار من بين المسلمين (٢)

فإن كان التصوف، والصوفية كما ذكرنا فوجود الحاج عبد الله انياح
 انياح بين علماء الصوفية أمر لا يحتاج إلى التبرير، وتعيين مكانه بينهم
 أمر سهل في متناول أي باحث منصف، لأنه رضي الله عنه انقطع عن الدنيا
 الدنيا وتوجه إلى الله بالعبادة، والتحبيب إلى الله بالدعوة، والعمل الصالح
 لغيره، وتحمياً للارتداد، والدعوة إلى الله في عنفوان شبابه، وتزود لذلك بالعلم
 والزهد والورع والتقوى، ليكون داعياً إلى الله، وروحاً حياً، وتطلب زماؤه .
 كان الشيخ الحاج عبد الله انياح رضي الله عنه رجلاً زاهياً، ومحبباً، وقوراً
 تترك في غلاد نفوسنا ملامح وذكريات الفاروق ثانياً الخلفاء الراشدين
 سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وما ذلك إلا بيننا من التقارب، و
 الشبه الأكيد في أسلوب حياتنا الخاصة والعامة، وفي ممارسة شؤون الد
 عوة ومهمة الإرشاد، في ورع وزهد وتقوى الله، الأمر الذي يجعل حياة الشيخ
 عبد الله نسخة طبق الأصل من حياة أمير ابن الخطاب، سواء في محبة الله ورسو
 له، وتطبيق الأحكام الشرعية، بالجهد والصرامة بالصدق والأخلاص، والمو
 دة، والوفاء بالمعهد

(١) مفتاح الأنوار ومنيل الأسرار . تأليف الحاج عبد الله انياح - (مخطوط)
 (٢) مصفاة الصدق، لتنقيب الدرر والحق، من كتاب طاهر ميفري حول حياة وآراء وتما
 ليم الشيخ إبراهيم انياح (مخطوط)

(٨) كان الشيخ الحاج عبد الله انياس يقتدى بالخليفة عمرو بن الخطاب رضي الله
عنهما ابتداءً انما موم با ما منه بل كالتل بشا خصه يقتدى به في جده وصر
احتبه ووجهه للحق وتواضعه وزنده في الله عن الدنيا بل في طعنا منه ولباسه
وسنوق هنا بصر الأثلة على ما عر ضنا من وجوه الشبهة بين الخليفة والشيخ
ووزالت بذكرك وقائى وقضايا فتمرت فيها جد يتصفا وصرامتصفا مام الحقي
لتز كية النفوس وتر بيتما بالزهد والتواضع والنور والنفوس ...

(١) فقد استحضرت عمرو بن الخطاب عامه زياد بن عبد الله فجاء وعليه ثياب ثا
غرة من كتان وغلمان سا نجين (من نون ناسا غر) وكان في يد الخليفة مئصرة على
رأسها حديد فغمزها في عيني الزيادة حتى آذى رجليه فلما دهن من الفد رجح
اليه زياد في غنين غليلين وعليه ثوبان من قطن فلما آراه عمر عي له وقال
(هكذا يا زياد هكذا يا زياد...) (١)

ثم نرى الشيخ عبد في نفس المرقف مام قضية مما ثلثة وفي جمع من اتبا عه
وتلا بيده يأتى أحد هم بل أحد أولاده بنصان أ نيقة من غير الطرا ز التقليد
الذي يلبسه عامة الناس في وسطهم واستنكر الحاج عبد الله ذلك ومثله
بثلمه ...

(٢) نرى الخليفة سيدنا عمرو بن الخطاب رضي الله عنه في قضية أخرى يظهر
فيها مبدؤه وأسلمو به في اختيار الولاية والأئمة يقول: (أدى أن تن أن
ستممل الرجل وأنا أجد أ قوى منه)

وعلى هذا المبدؤه كان يفتار ويمزل ولا ته . وعلى ضوء هذا المبداء عزل شرحب
حبيل بن حسنة من شام وأضاف عمله الى معاوية بن أبي سفيان . فقال له الو
الى المنزول : (أ عن سطة عزلتني يا أمير المؤمنين ٩) فقال الخليفة: (لاه
انك لينا أ حب ولاكني أريد رجلا أ قوى من رجل) (٢)
فبذلك يفعل الشيخ عبد الله انياس ابتداء بعمرو وتابيتا بمبدئه (أريد
رجلا أ قوى من رجل ...)

أذن المؤمن بالصلاة في مسجد الحاج عبد الله انياس ولما انتظر الناس بالا
مام (الشيخ عبد الله) ولما شا نوا من شوات أول الوقت قام أحد الحاضرين
ومر الناس بالصلاة ولكن استنكروا منه هذه الجراءة واستنكروا شجا عته وتج
وتجرده العلمى . وقالوا: هل نطلى والشيخ لم يحضر بعد ولم يستنكره فرد
عليهم بقولته المشهورة (الصلاة في وقتها أكبر عند الله من الشيخ والوالد)

(١ - ٢) عمرو بن الخطاب وأصول السياسة الحديثة والإدارة الحديثة . د. سليمان الط
الطماوى ص - ٧٢ - و ٢٧٥ .

فلما بلغ ذلك الشيخ الحاج عبد الله انياس ابتمج سرورا، وعينه اماما ونائبا عنه في مسجده، لما لمس من كلامه من النضج والفهم الثالث (١) .
وهكذا يضع الشيخ في مسجده اماما ونائبا عنه، رجلا لا يقوى لا يتقيد بالا جراءات والبروتوكولات الفارغة من المفاهيم الشرعية. اقتداء بالخليفة عمر .
واما في المعاملات، والسياسة المالية النامية في التصف، وتجنب الشبهات فمقارنة رأيه وتطبيقا ته مع آراء وتطبيقات الخليفة عمرو - في هذا الباب يجعل الباحث في دهشة وخيرة لا تنقذه منها مصرفة وحدة مصادرهما واتجاههما .
كان الخليفة عمرو رضي الله عنه يرى في الممتلكات العامة رأيا، تعجز مبادئ العدالة الاجتماعية المساورة، تفسيره . واجتياز حدوده البعيدة (الأواني لأرى صلاح هذا المال الا بثلاث: أن يؤخذ من حقه، ويعطى شئ حق، ويمنع من باطله الا انما انا في مالكم هذا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استمففت، وان افتقرت اكلت بمعرفة) (٢)

والشيخ عبد الله يأخذ بنفس المبداه ما عا بصاح ويقول في جواب على سؤال وجه اليه عن مصرف زكاة المال وزكاة الفطر، وهل اعطاؤها للتفسير مباشرة خير أو اعطاؤها للعالم وامام يتولى توزيعها، مصرفها ٩٠٠٠ . وبعد الجواب على هذا السؤال، وبيان مصارف الزكاة أورد تعقيبا قال فيه: ((واعلم أنني لله الحمد مذ من الله لي بوجود دار حتى الآن ما اكلت زكاة مال ولا زكاة حرث، ولا زكاة الفطر، ولا اكلت في داري ٥٠٠٠ مع كثرة من يطرونني اياها . وزاد قائلها وما علمت هذا العام هل الله يمن علي بوجود غيرنا، واستغنى عنها ولا كلما أم سا كلها اضطرارا) (٣)

فالمثل مل لهذه الأمثلة التي سبقنا ما هنا لبيان صحة نسبة الحاج عبد الله - عبد الله انياس رضي الله عنه الى فئة الصونية - يرى الى جانب ذلك شدة تمسكه بالكتاب والسنة، واقتدائه بالخلفاء الراشدين رضوان الله الله عليهم جميعا، في تطبيق مبادئ التصوف الاسلامي بالزهد والتقوى والورع ولعل ذلك هو سر نجاح الشيخ عبد الله في نطاق الدعوة الاسلامية . لا نه رضي الله عنه حقق في الدعوة ما لم يكتب في لا مثاله في عصره وبقي صدى نجاحه وآثار تصوفه وعلومه الخالدة تجوب الافاق المترامية وتغزو القلوب وتتسرب الى النفوس في موجات من العلوم والمرنان يلتقطها اهل غانا

(١) كان صاحب هذه القصة المتواترة وليده الحاج بابكر انياس رضي الله عنهما .
(٢) عمر بن الخطاب المصدر السابق .
(٣) فتح الله الرب المالك على أسئلة عمر كته بن مالك استجواب وفتاوى الحاج عبد

ونجبر يا ، بنفس الأمتار والذ بذبات التي يلتقطها ٦ هل كوسى ، وطيبة ، وبنبرات
صوت ولده الباروتلهيذه صاحب الفيضة برمام بن عبد الله ، وهو يقول :
كأني بريد ~~للشوق~~ لكل قاذفاً بوقت هيو طلى مثل وقت عسرو جنى
تلقاه منى كل روح مجرد — مفا وقتهم والأمر غير مريع

• صافية: الطرق الصوفية وانتشار الاسلام

لقد مرت الفتوحات الاسلامية على مراحل متعددة ومختلفة من حيث السرعة
والانتاج والعمق ، وكانت تستعمل خلالها وسائل متنوعة ، حسب الحالات الاقتصادية
والثقافية والقومية التي يعيش في ظلها الشعوب المدعوة الى الاسلام .
ففي فجر الاسلام كانت وسائل الدعوة تقتصر في عرس المبادئ الاسلامية على ال
الشعوب المتدينة باليهودية او النصرانية ، او الوثنية ، او غيرها من ال
ديان البائدة ... وذلك بواسطة سلمية سببية او اقتصادية ، او بالضغط الما
دني في حالات نادرة جدا . عند ما تدعو الضرورة الى ذلك .
ولما اتسعت رقعة الاسلام ، وتوالى الفتوحات ظهرت وسائل جديدة ، ساعدت
على مد تيار الدعوة بسرعة وعمق ، وشحنته بمقومات تفسيرية وروحية ضمنيت
بقاء وملاحقات المادية الهائلة والروحية التي يراد نقلها الى تلك ال
قطار البعيدة القريبة ، والحديثة العهد بالاسلام ، البعيدة ايضا عن الجزية
النصرية ، هذه الشعوب التي لا تمط ثقاتها وايديولوجيتها بالاسلام صلبة .
وترتب على ذلك - كنتيجة حتمية - ظهور صفات طويلة وكثيف من ثقافات وفلسفات
تصر على الاسلام لتفسيرها وتكييفها ، الأمر الذي أدى الى اضعاف صبغة جديدة في
٦ سالب الدعوة لتتجاوب مع الحالات النفسية والمادية لتلك الشعوب . فكان مما
لابد تطوير التعليم الاسلامي ، وانشاء مدارس تعلم الزهد والتصوف لبناء مجتمع
اسلامي سليم ، يعيش في ظل الفياح المار بون من لهيب المجتمعات المادية العقيد
الحقيرة البنيوية التي من آثار الترهيب الرهباني العقيم الذي شجبه الاسلام ..
وكانت اليهودية والنصرانية ترى فيه خلافا وسيللة الى الخلاص من سيطرة وط
وظفان المادة على الروح ، وانتشرت الأديرة ، وكثر رهبان الكنيسة ، ولكن نظرا
لفراغ طوقسهم وتعاليمهم من الروحيات ، والصدق والايمان ازداد الطين بلة و
صبحت الكنائس والأديرة مراقب تجارية لجمع المال وتكديس الثروات القو
مية - باسم التبرعات والصدقات وبيع صك الففران - تحت ادارتها الجشعة ...

(١١)
وكان مما لابد للدعوة الإسلامية أمام هذه الحالة الحازمة من تطويع مداركها، وتوسيع برامجها التعليمية، ومنح التعمق في مختلف الفنون والعلوم الشرعية، وتولت مدارس التصوف، الإسلامية مهمة التعليم العالي في جنب المدارس الفقهية التي تلعب دور الابتدائية...
وكان من بين مدارس التصوف، هذه - بعد مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام

مدرسة المدينة المنورة التي يرأسها أبو النخعات أبو عبيدة بن الجراح المتوفى سنة (٤٤٤هـ) (٢٢) هجرية وسعد بن مسيب المتوفى سنة (٩١) هجرية • (١)
- ومدرسة البصرة برئاسة الإمام الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠) (٢)
- ومدرسة الكوفة التي من أبرز علمائها سفيان الثوري المتوفى سنة (١٦١) هجرية وسفيان بن عيينة المتوفى سنة (١٩٨) هـ •

- ثم مدرسة مصر التي أرسى دعائمها الصحابي الكبير عمر بن الخطاب ومن بعده ابنه عبد الله بن عمر الذي كان مصروفه بالزهد والورع والتقوى، وزبير بن العوام، ومقداد بن الأسود رضوان الله عليهم جميعاً • (٣)

وهكذا ظهر على مسرح الدعوة علماء ذوو قدرة وكفاءة في ممارسة شؤون الدعوة • وجعلوا زاوية التصوف، وقناة الزهد عن متاع الدنيا وزخرفها، قاعدة ومقلاً مينا ترفرف عليها راية الإسلام في نجاح وازدهار • وأخذ رجال التصوف يهتمون على منصف الدعوة، بخطبهم ومواعظهم البليغة - جلاً بعد جيل ليفسروا للطالب والوفور دغوا من الحياة البشرية، وأسرار العلم الانسانية فتنجرت من علومهم وأسرارهم ينابيع الرشد والمصروفة شراباً صافياً عذباً سلسلاً نفا تدهشى القليل قبل أن تتلا من الشفاه •

وعم العالم الإسلامي دورى خلب علماء الصوفية، وانتمت طرقتهم مع الإسلام وسميت هذه الطرق بأسماء مختلفة، رغم ما بينها من الوحدة في الاتجاه والهدف ونسب بعضها إلى عالم من علماءها أو مؤسسها - كالقادرية، والفلذلية، والتجانية • (٤) ونسب بعض منها إلى التطبيقات والأحوال بالخلوتية والمريدية...
وهكذا دار الزمان دورانه، وجرت الميثقة الألفية جرياً نها، واحتلت التجانية مكان الصدارة في أفريقيا، بل العالم الإسلامي • وكان فضل الله علينا عظيماً أن سلكه مر بينا وقائدنا إلى الله الشيخ الحاج عبد الله انياس رضي الله عنه

(١) التصوف، الإسلامى وتاريخه ص ٤٦

(٢) التلميح ص ٤٢

(٣) ميدخل التصوف الإسلامى تأليف أبى الوفاء الغنيمى ص ٩٣ •

(٤) نفس المصدر

(١٢)
هذا الرجل الذي انقطع الى الله، وقاتل حب الدنيا بنفسه، وبسرّي من جميع الامراض النفسية، واذ يداوى القلوب بسرّ الفاتح لما أغلق، يقشود موكب التوحيد والعبادة في أمان ويقين الى ساحة السعادة والنجاح، حيث تتساقط درر من أسرار القرآن، وثمرات من سرّ ماني لاله الاله محمد رسول الله .

ثالثا : الحاج عبد الله انيلس والطريقة التجانية

لقد كتمان دور التجانية - كما ذكرنا آنفا - مهما وفعّالا، وها فلا بالنجاح والمنجزات الباهرة في نطاق الدعوة . لالتجانية في الحقيقة طريقة علم وعبادية وتر بيبة الأمر الذي يدفع الشيخ عبد الله الى سلوك منها هجها الضراء لأنه رضي الله عنه صوني بالطبع، لما في روحه من الزهد والتقوى، والميل الى العبادة والتر بيبة .

وقد أسس مدرسة فقهية على قواعد من الكتاب والسنة، وصاغ عقائده وتوحيده في قالب الامام الأشعري رضي الله عنه، ورفض سمكها بلبينات المالكية، ووطلاها بالأسوان التجانية الزاهية .

ومكّذا بانتم هذه المدرسة كما ملّة الأجزاء، هئا بتة القواعد والأساس، وكانت في طليمة المدارس الفقهية المعاصرة، من حيث التعليم والتر بيبة، ومما يدل على تفوقه في ميدان التصوف الإسلامي، والتر بيبة الروحية، انتسابا حب الفيد الفيزية الأحمديّة المحمديّة التي كان تبحت عنها مدارس التصوف على مختلف مراحلها، وكان فضل الله علينا كبيرا، أظهرت هذه الفيزية بطورها وأسرارها في الطر التجانية، ومدرسة الحاج عبد الله انيلس، وعلى ولده وتلميذه سر الكتم والختم شيخ الاسلام الشيخ الحان ابراهيم انيلس رضي الله عنهما .

ولعل هذا المثال في تفوق مدرسة الحاج عبد الله انيلس، يكفي أيضا دليلا على ابراز آثاره البية في التصوف، ومنجزاته في الدعوة .

وكأنني بهذا الشيخ الصوفي - يرفع قوا عد مدرسته للتعليم والتر بيبة وتزكية النفوس - يقول ربنا تقبل منيا، واجعل هذه المدرسة عرسا للمصطفى ومنبما للعلم والأسرار الالهية، ومنارا للفيزية التجانية، ربنا وابعث فينا صاحب الفيزية المنتظرة، وعلمائها (يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت

المزيز الحكيم) صدق الله العظيم (١)

وقد أجيبت دعواته، وانقاد اليه الطلاب والر فود من كل فج عميق ليتعلموا .

ولينملوا من حوضه الفيضان زلالاً من العلوم والأسرار دولياً لثروا من محبته بواقته
 الحقائق ودرر العرفان . وقد اذعن له جبابذة عصره وشهدوا له جميعاً بالتفوق
 فى أسرار القرآن وعلوم التصوف . وعلم الطلاب بوربى الرجال . ثم توالى
 البشارات لظهور هذه الفيضة . وازدادت همة الشيخ عبد الله من شيبه ووقاره
 وضاعف دعواته وعباداته . وبانت عليه آثار التصوف لتدل على الاجابة والقبول
 وما الخق بالرنيق الأعلى ، ولبت فى هجره بضع سنين حتى ظهرت الفيضة
 على يد تلميذه ولده ابراهيم بن الحاج عبد الله انياس الكولنجى رضى
 الله عنهما . ثم أخذت تنتشر بسرعة لا تقاس بالمحاسبات الالكترونية
 الحديثة . وعمت العالم ، ولا صبى كولنج مقر مدرسة الحاج عبدالله انياس
 قبله تتجه اليها الأنظار والنفوس المتعطشة للشهود والمؤفة حيث ترد
 الشهود اليها من كل ناحية من انحاء العالم . ولا تصرف اليوم فى العالم
 بعد الحرمين الشريفين مكاناً تجتمع فيه السنة والسوان مختلفة من البشر
 مثلما تجتمع فى كولنج عاصمة الفيضة .

فالحق والحق أقول كلما فى ذلك من جهد ونسب النضد فيه يرجع الى
 الحاج عبد الله انياس الوالد . جزى الله عنا كل خير .
 واما ما وراء ذلك فيفضل الله ومشيئته المطلقة .
 واما عن علومه العجائبية الحاج عبد الله انياس فحدث عنه ولا حرج . فبمجرد
 تفكيره فى تحصيل شىء يبعد خيوط المستحيل عن حدود ارادته التى سايرت
 ارادة الله طوى عيانه . ونايلاً من ذلك حج بيت الله الحرام فى وقت
 لم يكن سبيل الحج فيه مفتوحاً الا لامثاله فى الصمت والعلم والزهد .
 وقد كانت رحلته الى الحرمين الشريفين رحلة حافلة بنشاط ثقافى
 واتصالات مباشرة بالعالم العربى وبالعلماء . . . ولا سيما علماء التصوف
 الاسلامي .

وقد زار فى هذه الرحلة كلاً من المغرب ، ومصر ، ونسب ، والسكندرية
 واجتمع بعلماء الأزهر الشريف . وعقد معهم جلسات علمية ناقشوا معه خلا
 لهما مسائل متفرقة حول الفقه الاسلامي والتفسير وغيره . . . وما كان
 لعلماء الأزهر الا أن يقرروا له العلم والتبحر . وأعطوه شهادة الأزهر العليا
 وأما عن المغرب . فلا تكفيه زيارة عابرة ، ولهذا شد الرحال الى

(١) هذه الشهادة مازالت لحد الآن بين أوراقه ووثائقه .

فاس مرة ثانية معقل التجانية ومنمأ علومها وأسرارها . والتقى بملما
الطريقة وكبارها . وكان هذا الملتقى في ذلك الوقت على مستوى القمة .
ورشح الشيخ الصوفي التقي السون الشيخ عبد الله انياس رضى الله عنه في
الخلافة العلمية ، وتون بالعلوم ، واسرار الطريقة التجانية ، وأعطى
صولجان التجانية للهداية والإرشاد ، ورعاية النور والأسرار الألية
وليمدنها من شاء ومتى شاء وكيف شاء .

وقد تركت عودته من فاس آثارا أدبية واجتماعية تدل على علمه مكانه
في الطريقة وحسن معاشرته لعلماء زمانه . وفي هذا يتنون سيدي باب بن
أحمد بن التجاني العلوي الموريتاني في تمجيد والتقدير في قصيدة طويلة
منها .

وأرباب السماحة والنوال
به يدرى الحرام من الحلال

لأن محمد غرر الكيمان
راوية العلوم وكذا فن

طريقة الاتباع والاعتدال
تُشأن بما يشرب من الضلال
وحائز ماله من كل جال
وسرت بسيره حذو التصال
تحذره من الداء العضال
ضمائر الاتصال والانفصال
يُنال به الوصول الى الوصال
إذا ما أم بآئك ذوا نفسال

سلكت بنا جزا كالكلمة خيرا
ومنت طريقة التجائين أن
خليقه ومنسب اليه
وخامل سره وبه تبا منى
وقد نبهت داعي كل ناس
وتظهير في الطريق اخذينا
وتسلك بالمريد سبيل رشد
ونعم السير سير في الترتي

وفي هذا يتنون زميله في الدعوة، ورفيقه في طريق العرجال الشيخ الصوفي التقي
السون سيدي الشيخ الحاج مالك رضى الله عنه تهنئة وتبشيرا بتدوم العلم
الهدير . والخطيب ، كلفه الأئدين وغيره المستفيثين الحاج عبد الله انياس
كما يتنون الحاج مالك .

وجاءنا إذا تانا خطيب انفسا

أتى حبيبي لربي الحمد من فاس

ممد كلمم من نور ذي الباس

قد فقت اذ زرت ختم السلس سيدنا

فيما اتانا به التجاني انياس

وقد بتاربي من شك ومن شك

وهكذا نرى منانة الحاج عبد الله انياس عند العلماء والصوفيين والاحترام الذي

كان يتمتع به في وسطه • وله في الطريقة التجانية أجازات بسلاسل
 ذميمة كلما اطرأ نية • ولكن قبل هذه الاجازات نريد أن نذكر موجزا
 عن المراحل التي مر عليها الحاج عبد الله انياس في الطريقة التجانية
 - فأول من لقنه الطريقة خاله الشيخ (ابراهيم تيام) المعروف
 (بشرن كليل) وهو عن السيد علي تيام وهو عن السيد عمر الفتوي وهو عن
 سيد محمد الغالي وهو عن الشيخ الختم سيد أبي العباس أحمد بن محمد التجاني
 - ولقنه أيضا السيد محمد جل وهو عن السيد أحمد بن أبي بكر وهو عن
 السيد عمر ابن السيد الفتوي - الخ ••••

- كما لقنه السيد عبد الرحمن • وهو عن السيد أحمد يرو وهو عن
 السيد مولود فال • وهو عن السيد محمد الحافظ وهو عن البرزنجي المقتوم
 سيد أبي العباس أحمد التجاني • رضي الله عنهم جميعا • (١)
 وهكذا يندمل في كل حور • ويقتبس من كل جذوة نورا حتى يبلن مقام
 الرجاء وأصبح بحرا يصيب في محيط الساحل له ويستمد منه مباشرة ••••
 وهذا الرجاء الذي افاق جديدة ليقد من الأقطاب والخلفاء • وورثة الأسرار
 والكنوز الربانية في صف واحد، ولتفتك عنه القيود • ويرفع عنه الحجر ••••
 ويطلق في أفق الطريقة يرتج أنى شاء وكيف شاء ومتى شاء •
 وقد لقنت الأسرار التي لا تختب في الأوراق • ولا تحرق بالأحداق وأطلقه
 السيد أحمد سكين وهو عن السيد حميد بناني • وهو عن السيد عالي •
 وهو عن السيد محمد بن عبد الواحد المصري رضي الله عنه • وهو عن الشيخ
 رضي الله عنه •

وأطلقه أيضا سيد العرب المحب • وهو عن السيد الحاج محمد بنون رضي الله
 عنه وهو عن سيد العرب بن السائق وهو عن سيد محمد بن عبد الواحد
 البناني المصري رضي الله عنه وهو عن القطب المقتوم والبرزنجي المقتوم
 سيدنا ومولانا وشيختنا ووسيلتنا التي ربنا أحمد بن محمد التجاني رضي
 الله تعالى عنه • (٢)

هذا ولا نعرف في عصر الحاج عبد الله انياس سلسلة أصى وأقرب وتصل
 بالشيخ التجاني من هاتين السلسلتين •

خاتمة في ذكر تطبيقات حية من مفاهيم التصوف، وإثاره علي

حياة الحاج عبد الله انياس

١) مطرب السامعين تأليف محمد الصغير التمشي المثنوي
 ٢) جوابا علي رسالة من السيد محمد فال بن باب أحمد يب العلوي •

وقد مر معنا تعريف التصوف . ووثقنا على دور التصوف في نشر الإسلام
وذكرنا نبذة قصيرة في الحان عبد الله والطريقة التجانية . وتعمدنا عدم
التوسع والعمق في هذا الموضوع بالذات . علما منا أن الباحثين تناولوا
هذا الموضوع وذكروا ما فيه الدفاية والبركة .

ونريد هنا في هذه القائمة تسجيل بعض الحقائق التي قد يغفل عنها
الباحث . ولو كان منصفاً - عندما يقف على منجزات هذا الرجل العظيم الذي
كانت حياته كلها تصوفاً وأعرضاً عن الدنيا وما فيها . الأمر الذي
يبرر ضالة الامكانيات المادية التي تتوفر لديه ، مع تساوة الظروف
التي كان يعيشها رضي الله عنه كجميع الصوفيين - من عدم الاستقرار، وكثرة
الاعياء من أهل الدنيا . فسلم تعرض حياته العافلة بالمنجزات الباهرة
راحة واستقراراً . لأننا ما سمعنا بمكان استقر فيه الحان عبد الله انياس
عشرين سنة كاملة . كان الاستعمار الفرنسي يطارد ويراقبه عن كثب ، وقد
أخذ نصيبه وافرا من اضطهاد أهل الدنيا بالمنصوفين رجال الله .
ولكن اذا قسنا امكانيات المادية مع الامكانيات الروحية التي كان
يتمتع بها ينكشف الفبار على الحقيقة لنرى الشيخ عبد الله في مركز من
قوة هائلة وباستعداد نفسي شامل ، في أمن وأماننة - كمثل صوفي لا يرى
سماز نعم الله عليه الا تحت اضطهاد الباغى ، وسطوة الحانم الطاغى ...
فكان الاضطهاد والظلمان عليهم مقياس ومقياس وضع لتقييم وزنهم وتعيين
مكانتهم عند الله ورسوله ...

وفي أثناء هذه الظروف نرى الشيخ عبد الله يجاهد ويكافح ويأخذ
التصوف شعاراً له . ولا يفارقه لحظة واحدة سواء في حق العبادات . أو
المعاملات . بل في جميع حركاته وسكناته اداء لئد وأمر الالهية ، واجتنا
بالنواهي الالهية ، وفي العمل وكسب العيش الحلال الطيب بوسائل مشروعنة .
لأن عبادة الله لا تصح ولا تقبل الا بأكمل الحلال وليس الحلال . ولهذا فهو
يتحفظ من اكل الأموال التي ترد عليه بكثرة . هدية كانت أو هبة أو صدقة
ولا سيما اذا تمت في شرعية وسائل كسبها .

وفي هذا يقول في تقابله الحرام والحلال (ومن المخالفة . لا مرا للهم
ماعتت به اليسرى ودخل في ذلك الحرام والخاص من اكل اموال الناس بالباطل)
(١) الحرام والحلال تأليف الحان عبد الله انياس مخطوط .

فابتعاداً من حياة التمدن والتحضراً وآثارها العقيمة تمتعاً مثلاً حياً
على ما ذكرنا هنا ، وعلى مدى زمده وانقلاعه من الدنيا ، والتوجه إلى
الله . فلو كانت الدنيا تسارى عنده جناح بموضوعة لاسس امبراطورية
فسيحة الأرجاء لآسرتة ، كما بنى لهم تصورا خالدة من المجد الديني والشرف
العلمي . ولكنه هو الترتل الذي اقبلت اليه الدنيا ، وادبر عنها ، وتجمعت
لديه وسائل الشرف ، والميراث الرغيد ، وداس عليها بالأقدام واختار الزهد والتصوف
وتلى هذا المتوال نسج ثوب حياته . وبقي خلفاً ه من اسرته ينسجون
أثواب حياتهم . فرغم تمدنهم ووفرة امکانيات المادية لديهم فهم جيمما
صوثيون يجرى في عروقهم دم التصوف والزهد الذي ورثوه من أصلهم وجدهم
الشيخ عبد الله انياس الذي اختار الخلود الروحي على المادة الفانية ،
فكتب الله له الخلود والبقاء مع بقاء السلام وخلود القرآن الكريم ويدا
نراسمه حيث ذكرت الدعوة الاسلامية . واثار الطريقة التجانية عليهما . لقد
عاش صوفيا والتحق برفيق الأعلى مؤمنا صافي القلب ، بيزن صفة .
يظلم نور النبوة والولاية عند ملك واسع الرحمة والمغفرة . جزى الله
عنا ولسائر المؤمنين خيرا .